ما زال ينزف

الراهب سارافيم البرموسي

مراجعة

نيافة أنبا ايسيذورس

مدخل

حينما أفكّر في الشهيد يداعب خيالي مشهد النور الفائق المنبعث من جراحات الجمع المتسربل بثيابٍ بيضٍ ويتبع الحمل أينما ذهب. الجراحات لآلئ لامعة تسبي البصيرة. الوجوه لا يعتريها الألم ولا الضيق. الأعينُ شاخصةٌ في المجد الإلهي، لا ينسكب منها دمع الأنين ولا تأوّهات المخاض الأرضي. مشهد يَسْكُب في القلب، الحنين لملكوت الله .. مشهد يلتقط كينونتنا الإنسانيّة الملتحفة بأتربة أرض اللّعنة ليسمو بها بعيدًا في مدارات السلام والنعمة والفرح والمسرّة في رحاب روح الله.

هناك يُسْمَعُ ترنيم الـ "هللويا الكبرى"، تلك التي تخرج بلا تعبٍ ولا مللٍ ولا ألمٍ ولا تغصُّبٍ .. "هللويا" مرتّلة بذهنٍ مُنغمسٍ في بهاء وجه الحَمَلِ الجالس على العرش ..

حينما نتأمّل في وجه الشهداء نرى الإنجيل ناطقًا حتى الصراخ بانهزام الموت واندحار الألم أمام مجد الجسد الجديد، نستنشق من جسده الذي نواريه الثرى، رائحة ملء الروح.

هناك أماكن شاغرة على حامل الأيقونات تنتظر من يملأها. القداسة لم تتوقّف، وشهادة الدمّ لم تُبْكَم. المذبح الإلهي مازال يتلقّى أشلاء نورانيّة ليُجمِّعها ويضعها على عروشٍ من نور. صراع الحبّ والبغضة مازال مستعرًا. وملكوت الله مازال يُغْصَب والغاصبون يختطفونه ويفتتحون أبوابه الدهريّة.

الشيطان لازال يُخطِّط لموت الكنيسة؛ صوت الخلاص. لا يريد لجرح المسيح أن يلتئم أملاً في إرهاب بنيه وأتباعه ..

ولكن، من دماء جسد المسيح تنبت حياة تهتف بصوت يسوع:

اِلْتَفِتُوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الأَرْضِ
لأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرَ

إش٤٥: ٢٢

ومازال الجرح لم يندمل والدم لم يتوقّف ..

مازال ينزف ..

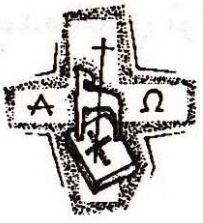

ثمن الخلاص هل نتذكره؟؟

قبل مجيء المسيح، كنّا غرباء عن الربّ بل و« أَعْدَاءً فِي الْفِكْرِ، فِي الأَعْمَالِ الشِّرِّيرَةِ » كما كتب القديس بولس (كو١: ٢١)، ولكنّنا صولحنا مع الآب بصكٍّ جديدٍ وعهدٍ جديدٍ وُقّع عليه بدماء الابن الحبيب .. البكر من الأموات .. البداءة .. المسيح يسوع. ذاك الصكّ يُعْلِن أنّ الموتَ ضريبةُ الحياة الجديدة التي تنعمون بها، لذا قدّموا للّه أثمارًا حسنة إذ تسلكون في جدّة الحياة. قدّموا للربّ أعضاءكم ذبائح حيّة ناطقة بل وصارخة لمجد الربّ، لأنّكم قد اشتُريتُم بثمنٍ غالٍ .. بدماءٍ ملكيّةٍ .. بحبٍّ فائق للتصوُّر.

مَنْ اشتُري بالدماء لا يخشَى سفك الدماء .. دماؤه هي وديعته التي تُغتسل في دماء المسيح يومًا بعد يومٍ في انتظار الانسكاب الأخير على مذبح الحبّ .. مذبح الشهادة للموت وللحياة. ولعلّ كلمات كليمندس السكندري تعبِّر عن معادلة الحبّ والشهادة أيّما تعبير إذ يقول:

في محبّة الربّ، يفارق [الشهيد] تلك الحياة بمسرّة فائقة.

إنّنا ندعو الاستشهاد كمالاً

لا بسبب انتهاء حياته على الأرض كما الآخرين،

ولكن لأنّه أظهر اكتمال عمل الحبّ.

إنّ هناك ثالوثًا مسيحيًّا يُشكّل قِوام حياة الكنيسة على الأرض؛ إنّه **العبادة والكرازة والألم**. فالعبادة الحقّ تدفع الكنيسة لتخبر عن المسيح .. لتشهد له .. لتعترف به، وهو ما يُسبِّب لها الألم، لأنّ العالم لا يريد نورًا يفتضحه!!

في وعينا الكرازي، لا يمكن أنّ نُصنّف الآخرين إلى أعداء، إذ يبغضوننا، لأنّهم قد يصيروا أحبّاء ويظهروا اكتمال عمل الحبّ بقبولهم الإيمان. عينا الله تلك، نتبنّاها، لنرى، بملء الرجاء، إمكانيّة تحوّل الذئب إلى حملٍ وديعٍ يسكن المراعي الخُضر ويشرب من مياه الرّاحة.

إنّ كان لنا رجاءٌ في تغيُّر المُضطَهِد، بالحبّ، ستتحوّل أنّاتنا الذاتيّة من الألم إلى الكرازة بالمُخلّص، سيتحوّل صراخنا بكفّ الاضطهاد إلى صراخ بالغفران للمُضطَهِد. هل يمكن أن يتحقّق ذلك؟؟؟ هل يمكن أن يولَد بولس جديد من رَحِمِ غفران إستفانوس؟؟ هل يمكن أن نتبنّى كلمات القديس بولس عينه لنقول: « الآنَ أَفْرَحُ فِي آلاَمِي لأَجْلِكُمْ، وَأُكَمِّلُ نَقَائِصَ شَدَائِدِ الْمَسِيحِ فِي جِسْمِي لأَجْلِ جَسَدِهِ »، أي الْكَنِيسَةُ؟؟ هل يمكن أن نتحرّر من أَلَمَنا الشخصي إلى طلب بهاء الكنيسة ونموّها؟؟؟ فقط بالروح، إن قبلناه ليُحرِّكنا نحو الحياة الأفضل لنا ولآخرين، وإن

تذكّرنا على الدوام أنّنا مولودون من دماء الخلاص المسفوكة حبًّا ..

كيف يستطيع الحَمَلَ أن ينتصر على الذئب؟

كيف يمكن للمسالم جدًّا أن يقهر توحُّش الحيوانات المفترسة؟

نعم، يقول الربّ

أنا الراعي لهم جميعًا للصغير والكبير،

لعامّة الناس وللأمراء، للمعلّمين والمتعلّمين،

سأكون معكم وأساعدكم وأخلّصكم من كلّ شرّ.

سأروِّض الحيوانات المتوحِّشة، سأغيِّر الذئاب إلى حِمْلان،

وسأجعل المضطّهِدين مساعدين للمضطَّهَدين،

وسأجعل مَنْ يسيئون إلى خُدّامي

شركاء في خططهم المُقدّسة،

أنا أصنع كلّ الأشياء، وأنا أحلّها،

ولا يوجد شيءٌ يستطيع أن يقاوم إرادتي

القديس كيرلُّس الكبير

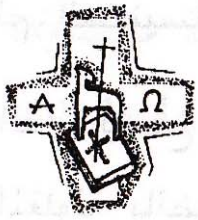

بالحبّ ننتصر

قد يسأل البعض: لماذا نتألّم ونحن لم نفعل شيئًا؟؟ لماذا نُظْلَم ونحن أبرياء؟؟ دعني أذكّرهم أنّ المسيح حينما تألّم ترك لنا مثالاً لنتبعه .. تلك هي دعوتنا.

بل إنّ أوريجانوس ومن بعده ديديموس الضرير يكتبان بلسان المُخلِّص:

القريب منّي قريبٌ من النار

والبعيد عنّي بعيدٌ عن الملكوت

وذلك لأنّ نيران الاضطهاد مازالت تلاحق ثوب المسيح أينما ذهب، ولكن تلك النيران تُعْلِن قرب ملكوت الله.

لم تكن حياة المسيح قبل الصليب مقبولة عند جموع اليهود وقادتهم؛ فقد كان اليهود « يَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ » (يو٧: ١)!!! ولازال العالم آملاً في قتل صورته النابضة في جسده المتحرِّك في العالم: الكنيسة.

يا لقبح الشيطان الذي يُرسِّخ عقيدة الموت في صميم الدين ليطلق الأيدي المغلولة بالضمير، حرّة، لسدِّ منابع الطُهْرِ وإبكام أصوات الحقّ!!

كانت كلمات المسيح حبًّا فجازوه صلبًا. كانت نظراته بلسمًا فسقوه خلاًّ. كانت لمساته شفاءً فطعنوه كُرهًا. كانت صلاته لهم غفرانًا فجلدوه حنقًا. هذا هو يسوع وذاك هو الشيطان. حتى الآن نفس استراتيجيّة الشرّ سارية وفاعلة.. الشيطان يسعَى ليبيد صوت يسوع في أعماقنا لئلا يصدح في العالم المحتضر فيُشْفَى ..

لأَنَّكُمْ لِهذَا دُعِيتُمْ.
فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا،
تَارِكًا لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ.
الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ،
الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا،
وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ.
الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ،
لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ.
الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ

١بط٢: ٢١ ـ ٢٤

جلداتُ المسيح شفاءٌ للبشريّة، وأَلَمُ المسيحيّين إلهامٌ واجتذابٌ لغير المؤمنين، ومجد للكنيسة عند استعلان ربّنا يسوع المسيح .

لم يتحوَّل المسيح قيد أنملة عن ملء الحبّ أمام طوفان البُغضة التي أحاطت به في كلّ موضعٍ حلّ فيه. جاء لخلاص العالم لا لإهلاكه. من المسيح نستلم دعوتنا؛ أنْ **نصمد في الحبّ والغفران مهما كلّفنا الأمر. لأنّ المسيح أطلقنا في العالم لنملّحه .. لنحييه .. لنعيده إلى الله. والعالم يبقَى شريرًا حتّى يُلاقي المُخلِّص .. يبقَى مستبيحًا حتى يجالسه على بئر الحياة .. وقتها يتغيّر.** لا نتعجّب أمام شرّ العالم، فتلك هي الطبيعة البشريّة بدون المُخلِّص. لنتخطّى ألمنا، ونعلنه حبًّا وغفرانًا وتجديدًا لإنسان العالم. تلك هي نصرتنا.. بل نصرة المخلِّص فينا ...

إنّ الله يتدخّل ولكن ليس كما يترجَّى البعض؛ فبينما يريد البعض النقمة الإلهيّة وإظهار بأس شعب الله من خلال إذلال المقاومين، نجد أنّ الله يعمل في اتّجاه آخر؛ يعمل على جذب الجميع إلى حضنه؛ المُضطَّهِد (إن آمن) والمُضطَّهَد. لكلٍّ مكانه في بيت الآب.

نقرأ ما حدث لشهداء ليون بفرنسا (القرن الثاني الميلادي) في الرسالة التي أوردها يوسابيوس القيصري، والمرسلة من ليون *Lyons* وفيينا *Vienne* إلى فرجيّه *Phrygia* (١٧٧م)،

حينما هاج الوثنيّون على المسيحيّين وأعملوا فيهم القتل بمباركة الإمبراطور، نقرأ:

"أجساد هؤلاء الذين ماتوا في السجن قد أُلقيت إلى الكلاب وظلّوا [الوثنيون] يراقبون بشغفٍ اللّيل كلّه لئلا يجمع أحدنا شيئًا ليدفنه .. مُزِّقَت بقايا هؤلاء إلى قطع صغيرة بواسطة الحيوانات المفترسة. مَنْ تفحَّم منهم بالنار وضعوه في كومةٍ في مكانٍ عامٍّ ليراها الجميع. حُرِسَت رؤوس وجذوع الآخرين من قِبَل الجنود لضمان بقائها في العَرَاءِ غير مدفونةٍ لأيّام أخرى .. ظلّ بعضهم يضحكون ويقهقهون وهم يرفعون أصنامهم التي اعتبروها أنّها عاقبت هؤلاء الشهداء!!!"

وبدأوا يُشكّكون المسيحيّين قائلين:

"أين إلهكم؟ بما ساعدكم الإيمان الذي أحببتموه أكثر من حياتكم؟ لمدّة ستّة أيام كانت أجساد الشهداء موضع سخرية بكلّ طريقة ممكنة. وفي النهاية أُحْرِقَت وصارت رمادًا وكُنِسَت من الأرض التي لم يعد عليها ذرّة واحدة منها لأنّهم كانوا يعتقدون أنّهم بذلك سوف يهزمون الله!! ويفوّتوا عليه

فرصة أن يقيمهم ثانية!!! ... كان لسان حالهم يقول: 'دعنا نرى إن كانوا سيقومون ثانيةً؟ وإن كان إلههم سيساعدهم؟ وإن كان يستطيع أن يُخلّصهم من أيدينا؟؟'."

إنّ ما حدث في ليون القرن الثاني الميلادي حدث عند الصليب؛ « وَكَانَ الشَّعْبُ وَاقِفِينَ يَنْظُرُونَ وَالرُّؤَسَاءُ أَيْضاً مَعَهُمْ يَسْخَرُونَ بِهِ قَائِلِينَ: خَلَّصَ آخَرِينَ فَلْيُخَلِّصْ نَفْسَهُ إِنْ كَانَ هُوَ الْمَسِيحَ مُخْتَارَ اللهِ » (لو٢٣: ٣٥).

يروي لنا القديس غريغوريوس اللاّهوتي، بكلمات مؤثّرة ينتفض من هولها القلم، ما حدث مع الكاهن الشيخ مرقص، من أهل الرستن، إذ يكتب:

"كان يُقاد ويُسْحَب سحبًا. يسحبه الأدنياء من كلّ سنٍّ، بل قُل من كلّ المراتب الاجتماعيّة العالية والدنيا. نساءً ورجالاً، شبابًا وشيبًا. الكلّ كانوا يتبارون ويبالغون في القوّة والقحة والفظاظة ضدّ إنسانٍ واحدٍ في ساحة الشهادة، يثبت ويصمد فيغلب مدينة بأسرها وحده. كانوا يجرّونه من ساحةٍ إلى ساحةٍ، يسحبونه بشعره، حتّى لم يبق منه عضوٌ سليمٌ من الألم والأذى. ولم تبق إهانة أو شتيمة لم تنصبّ

عليه من أولئك الذين كانوا ينفذون فيه التعاذيب كما في ميترا. كان يُرْفَع مُعلَّقًا برجليه ويُنْخَس جسمه بأقلام قصبٍ حادّةٍ، تجعل مأساته لهوًا ولعبًا. جعلوا يضغطون جنبيه حتّى تتأذّى عظامه إلى حدّ التكسُّر، ويثقبون أذنيه بخيوطٍ صوفيّةٍ دقيقةٍ ويشرمونها شرمًا. ثمّ علّقوه عاليًا في سلٍّ ودهنوا السلّ وجسمه بالعسل والحلوى حتّى تلسعه النحل والزنابير، والشمس تنصبُّ عليه بأشعّتها المحرقة في وسط النهار. وهنا أيضًا شيءٌ يؤثّر في الذكر والتسجيل، هو أنّ الشيخ، بل الفتى الشجاع في الجهاد، **كان يصنع إشارة الصليب، ويمجّد الصليب، وكان يرى نفسه من عُلوٍّ، كأنّه في قدّاسٍ، وليس في نكبةٍ وشدّة!!"**.

مثل تلك الأمثلة أكّدت بقوّةٍ، كما كتب القديس غريغوريوس، أنّ:

مُلكُ المسيح لن يتوقّف

ولو جُنّ الأعداء ضدّه

لقد كتب أحدهم متهكّمًا ومُتعجّبًا: "ربنا موجود!!" بعد حادث الإسكندريّة. وكأنّه يقول: كيف هو موجودٌ

وهو غير قادرٍ على حمايتكم!! حقًّا إنّ ربّنا نحن المسيحيّين موجود، لا ليدخل في صراعٍ مع الفانين على أجسادٍ مآلها للتراب .. إنّه ليس كآلهة اليونان والبابليين والكنعانيين يتصارع على بسط نفوذه بإراقة الدماء وإرهاب باقي الآلهة .. إنّه ليس طرفًا في صراعٍ كونيٍّ عليه أن يثبت فيه جدارته، بالانتصار لأتباعه!!! إلهنا لا ينفعل ولا يستشعر خطرًا ولا يُفاجَئ بالأحداث، لأنّه عالمٌ بكلّ شيءٍ وهو يتعجّب من رغبة البشر في وضعه داخل عالمهم بقانونهم القائم على منطق الغاب: البقاء للأقوى!!

إلهنا يقف على شاطِئ نهر الحياة ليتسقبل محبّيه ويورثهم ملكوتًا لا يزول ..

لا يمكن لبشرٍ أن يضع للمسيح طريقَ الخلاص وطريقته؛ فهو الإله العالم بكلّ شيء .. الإله فوق الزمني ..

إن كان خلاص المسيح لأبنائه دائمًا بوقف الألم، سيتوقّف معه المجد!! إن وهب لأحبّائه راحةً على الدوام، سينضب سرّ الصليب!!

فلنتخيّل أنّ الله قد أوقف الألم عن الكنيسة منذ نشأتها، هل كنّا سنحتفل بشهادة بولس وصلب بطرس وتمزيق مرقص وتقطيع مارجرجس وحرق بوليكاربوس

والتهام الوحوش لإغناطيوس ... لقد أحبّ هؤلاء، الضيقَ والشهادةَ لينالوا المجد، ومن إيمانهم استلهمنا قوّة للحياة وقوّة للموت لنصمد وسط ضيقات العالم الحاضر. إنْ طالبنا الله بوقف طَرَقَات الألم عن أبنائه فرّغنا كنائسنا من قدّيسيها ورجالها الأشدّاء الذين ذبحوا أجسادهم طواعيّة بحبّ الثالوث قبل أن يذبحها أعداؤهم. كلُّ الإنجيل قائمٌ على سرّ الموت والقيامة .. سرّ الألم والمجد .. إنّه سرّ المسيح المائت / القائم. هل نبحث عن إنجيلٍ آخرٍ؟؟ أم نريد إنجيلاً مُجمَّلاً بنقوش الذهب نقرأه في أوقات فراغنا معتقدين أنّنا بذلك مؤمنين!!!

قال أحدهم:

أؤمن بالشمس ولو كانت غير مشرقة!

أؤمن بالمحبّة وإن كنت لا أشعر بها!

أؤمن بالله ولو كان صامتًا!!

عن نقشٍ لسجينٍ على جدار زنزانته

صمتُ إلهنا بلاغة أبديّة، وجهالته، في أعين الآخرين، حكمة علويّة، وضعفه، في نظر البعض، هو محبّة متأنيّة .. فهل نفهم لغته وحكمته ومحبّته؟؟

إن أحببنا المسيح، أحببنا حياته وجراحه وموته وقيامته ومجده .. إن أحببنا المسيح دعوناه ليسكن فينا ليضع هو قواعد سكناه .. محبّتنا له لا تُجزِّئه إلى مسيح القدرة والقيامة واللُّطف والمعجزات والتعاليم السامية، ومسيح الألم والإهانة والصلب والقبر .. هو مسيحٌ أوحد .. إلهٌ أوحد .. إنْ قبلناه، قبلنا طريقته ليُحرِّرنا من ذواتنا؛ فخلاص المسيح لنا يكمن في تحريره لنفوسنا وإعدادها لملكوته ..

لم يُهدِّد المسيح صالبيه بنارٍ تنزل من السماء لتبيد الأعداء، بل حينما كانت تلك طلبة تلاميذه قال لهم: « لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا!. لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ بَلْ لِيُخَلِّصَ » (لو٩: ٥٥، ٥٦). روح الله يغفر للمسيئين لأنّه يوجِّه البصيرة للمجد. أمام المجد تُنسَى الإساءة بل **وتصبح تلك الإساءة عينها قوّة تضرُّع من أجل الأعداء!!!**

يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ

الربّ يسوع (لو٢٣: ٣٤)

يَا رَبُّ لاَ تُقِمْ لَهُمْ هَذِهِ الْخَطِيَّةَ

الشهيد إستفانوس (أع٧: ٦٠)

حينما كان اليهود يرجمون يعقوب البّار، نادى واحدٌ من الكهنة قائلاً: **"قفوا ماذا تفعلون، إنّ البّار يُصلّي من**

أجلكم". وقتها لم يحتمل الشيطان، فتقدَّم أحد الشباب وضربه بهرّاوة خشبيّة على رأسه لئلاّ يُصلّي!!!

لقد صدر حكمٌ بالإعدام على شخصٍ مسيحيٍّ في رومانيا، أثناء الثورة الشيوعيّة، وقبل التنفيذ سُمح له بمقابلة زوجته، فكانت كلماته الأخيرة لهم كما يلي:

"لابد لك أن تعرفي **أنّي أموت وأنا أحبّ هؤلاء الذين يقتلونني. إنّهم لا يعلمون ماذا يفعلون.** طلبتي الأخيرة لكم أن تحبّوهم أنتم أيضًا. **لا تكن هناك مرارة في نفوسكم من جهتهم** لأنّهم يقتلون الشخص الذي تحبّونه .. **سوف نلتقي في السماء**".

لقد أثّرت هذه الكلمات في ضابط البوليس السرّي الذي حضر اللّقاء، وفيما بعد أصبح مسيحيًّا بل وسُجِنَ من أجل الإيمان.

لقد أرسل القديس إغناطيوس الأنطاكي رسالة إلى أهل أفسس قبيل استشهاده، قال فيها:

صلّوا بلا انقطاع من أجل الآخرين

لأنكم تقودونهم إلى الربّ على رجاء التوبة

افسحوا لهم المجال ليتثقّفوا في مدارس أعمالكم

واجهوا غضبهم بالوداعة

وتبجُّحهم بالدّعة

وشتائمهم بالصّلاة

وضلالهم برسوخ الإيمان

وفظاظة أخلاقهم بدماثة الطبع

ولا تردّوا لهم شرّهم بشرٍّ

كونوا لهم أخوة بالرّحمة

ولنحاول أن نتشبّه بالسيّد

ولنتبارى في حمل الظلم والمهانة والاحتقار

وفي تعليق من أحد الأصدقاء، قال: "مقولته تلك لم تُقَل أثناء تأمُّلٍ روحيٍّ في زاويةٍ هادئةٍ، ولكنّها قيلت وسط صليل سيوفٍ، وصراخ يموج باللّعنات والشتائم". وكان تعقيبي على كلماته أنّ هذا يثبت أنّها كلمات الروح، وتعليمه لكلّ مسيحي.

أن نغفر تلك فرصّة للتعليم كما يراها القديس غريغوريوس اللاّهوتي، إذ يقول: "فلنسمو ونرتفع عن أولئك الذين ظلمونا. ليتضّح للملأ ماذا يُعلّم الشيطان للوثنيّين، وماذا يُعلّمنا المسيح، وكيف يربينا المسيح. أجل لنغتنم الفرصة للتعليم". بذلك **تتحوّل آلامنا، بالغفران، إلى كرازة بالإنجيل.**

تلك الرؤية المسيحيّة "فوق قدرات البشر"؛ قد يصرخ البعض!!! بالفعل هي كذلك، ولكن النعمة النابتة من مرارة الألم ترفع قدراتنا فوق إمكانيّات الجسد والنفس المحدودة. الحبّ المسيحي لامنطقي لأنّه يفوق المنطق. الحبّ المسيحي لا يعرف إلاّ الغفران من فوق الصليب وسط شماتة وهزء وسخريّة الأعداء. لا نلومن الأعمَى على تهكّمه على لاواقعيّة النور .. هو لا يعرف النور لأن الظلمة هي موطنه ... **لا نستطيع أن نغفر للأعداء بقرارٍ، ولكن بتضرُّعٍ وصراخٍ لروح الله.**

تَوَكَّلُوا عَلَى الرَّبِّ إِلَى الأَبَدِ لأَنَّ فِي يَاهَ الرَّبِّ صَخْرَ الدُّهُورِ

إش٢٦ : ٤

ولعلّ هناك في عصرنا الحالي مَنْ يرى في الغفران الإنجيلي حياديّة ماسخة لا تلائم عصر الانتفاضات الشعبيّة وصراخ الحناجر بأفظع الكلمات طلبًا لحقٍّ مُهدرٍ ودمٍ نازفٍ!!! إنّه فرارٌ من الصليب!!!

إنّ حضور الله كان ملموسًا جدًّا أثناء التعذيب

من أجل تلك البلايا

أحببنا نفوس الصين أكثر،

وصلّينا لِمَنْ كانوا يُعذِّبوننا

امرأة مسيحيّة ممّن تألموا من أجل المسيح في الصين

من الروائع الكلاسيكيّة المسيحيّة، صلاة نيقولاي فليميروفيتش، الأسقف الصربي الذي تكلّم بشجاعةٍ ضدّ النازيّة، فأعتُقِلَ إبّان الحرب العالميّة الثانية، إذ يقول:

الأعداء قادوني إلى عناقك أكثر ممّا فعل أصدقائي

أصدقائي ربطوني بالأرض

فيما أعدائي حلّوني من الأرض وبعثروا كلّ مطامحي الدنيويّة

أعدائي قد غرّبوني عن الحقائق الدنيويّة

وجعلوني طارئًا ومقيمًا في هذا العالم غير مرتبطٍ به

كما يجد الحيوان المُطارَد مخبئًا أكثر أمانًا من الحيوان غير المُطارَد

كذلك أنا، لأحمي نفسي من أعدائي

وجدتُ ملاذًا مأمونًا عندما التجأت إلى هيكلك

حيث لا الأصدقاء ولا الأعداء يقدرون على تهديد نفسي

لذا يا ربُّ بارك أعدائي ولا تلعنهم! فأباركهم أنا أيضًا

ليس أنا، بل بالأحرى هم، مَنْ اعترف بخطاياي أمام العالم

لقد جلدوني عندما تردّدت أمام الجلد

لقد عذّبوني كلّما حاولت تجنُّب العذابات

لقد وبّخوني في حين أنّي تملّقتُ نفسي

لقد ضربوني فيما كنتُ أمدح نفسي من الجهل

فبارك أعدائي يا ربُّ ولا تلعنهم! فأباركهم أنا أيضا

في كلّ مرةٍ قدّمتُ نفسي على أني حكيم كانوا ينادونني بالأحمق

في كلّ مرةٍ تقدّمت بها مثل قويٍّ، كانوا يسخرون منّي وكأني قزمٌ

كلّما تمنّيت أن أقود آخرين، كانوا يدفعونني إلى الخطوط الجانبيّة

كلّما حاولت أن أُغني نفسي، كانوا يمنعونني بيدٍ من حديد

كلّما فكّرت بأني سوف أنام بسلامٍ، كانوا يوقظونني

في كلّ مرةٍ كنت أحاول أن أبني بيتًا لحياةٍ مديدةٍ هادئةٍ،

كانوا يطردونني منه ويهدمونه

في الحقيقة، إنّ أعدائي قد حلّوني من هذا العالم

ومدّوا يديّ لألامس هُدب ثوبك

لذا، بارك أعدائي يا ربُّ ولا تلعنهم! فأباركهم أنا أيضًا

باركهم يا ربُّ وكثّرهم! كثّرهم واجعلهم أكثر قساوة عليّ

ليكون جريي إليك بلا رجعةٍ

ليتحطّم كلّ رجاء بالإنسان، كما تتحطّم شبكة العنكبوت

ليحكُم السلام المُطلَق على نفسي

ليصير قلبي قبرًا لأخويّ الشريريْن: العجرفة والغضب

فأخبِّئ كلّ كنوزي في السماوات

وأصير مؤهَّلاً للتحرُّر إلى الأبد من وَهْم الذّات

الذي أسرني في الشبكة المميتة لهذه الحياة الخادعة

الأعداء علّموني، ما يتعلّمه المرء بصعوبةٍ،

أنّ ما من عدو للإنسان في هذا العالم إلاّ نفسه

وأنّ الإنسان يكره أعداءه عندما يفشل في معرفة أنّهم ليسوا أعداء

بل أصدقاء قساة وبلا قلبٍ!!

فعلاً، من الصعب عليّ أن أخبر مَنْ الذي نفعني أكثر من الآخر

أو آذاني أكثر من الآخر: الأعداء أم الأصدقاء

فبارك أعدائي يا ربُّ ولا تلعنهم! فأباركهم أنا أيضًا

إنّ الإنجيلَ وكلماته ووعوده عزاءٌ حقيقيٌّ للنفس المجروحة وقوّةٌ دافعةٌ للواقع المتلعثم في الخطيئة والإثم. **لم يعدنا المسيح بجنائن على الأرض، بل بدماء.** لم يترك أرضنا إلاّ من فوق صليب ليعلن أن الصليب هو خنجر العالم لطعن المسيحيّين الحقيقيّين ..

ليست تلك مطالبة بمغفرة خياليّة ومناداة بُحبٍّ حالمٍ، فالحبّ يتولّد كما بمخاضٍ، يدخل ليطرد صديد الكراهيّة العفنة. **فالحبّ الحقّ يصارع في تلابيب القلب حتّى ينتصر. يخرج كلماتَ لا تطاوعها المشاعر حتى يتحوّل إلى مشاعر توجِّه الحياة.** لن نستطيع أن نلتقي النعمة وقلوبنا سوداء .. لن نستطيع .. مَنْ لا يحمل صليبه **لا يقدر** أن يكون تلميذًا للمُخلّص .. قد يريد ويشتهي ولكنّه لا يقدر، ذاك هو تعبير المسيح نفسه. في الحقيقة نحن لا نملك خيارًا؛ فقبول الغفران والحبّ لتسكن النعمة أو الاصطدام بعنفوان الكراهيّة ليملك الشيطان .. لا خيار ثالث.

لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ:
بِالرُّجُوعِ وَالسُّكُونِ تَخْلُصُونَ.
بِالْهُدُوءِ وَالطُّمَأْنِينَةِ تَكُونُ قُوَّتُكُمْ

إش٣٠: ١٥

ولكن الغفران هو مرحلة تتجاوز قبول الألم .. هل يطالبنا الإنجيل بعدم الأنين أثناء الألم؟؟؟

الإنجيل لا يُسفّه ألمنا البشري ولا يُكمِّم صرخات قلوبنا أمام أنهار الدماء، ولكنّه يُعطي الطريق لتجاوزه. **فقط بالنعمة نتجاوز الألم**، ذاك هو الطريق الأوحد. وطريق النعمة: القلب النقي.

ذاك هو المحكّ الحقيقي الذي نَنْحَصِر في أركانه الآن؛ كيف نغفر ونحبّ وسط أعاصير الكراهية المحيطة بنا ووسط رائحة الموت التي تملأ أنوفنا ووسط مذاقة الغضب التي تستوطن حناجرنا. تلك هي التجربة؛ **إن نجونا بالحبّ صرنا مسيحيّين على شاكلة المسيح** .. على صورته الوديعة، وإن قيُّدنا بالكراهيّة صرنا صورة للشيطان بقبحه.

اسبني يا ربُّ فأصير حرًّا

أجبرني على تسليم سيفي فأكون منتصرًا

أغوص في مخاوف الحياة حين أقف وحدي

احبسني بين ذراعيك فيشتدّ ساعدي

جورج ماثيسون

ليت النعمة تعبر بنا تلك التجربة المريرة لنكون مشابهين صورة ابنه متجدّدين على شاكلته، لنعلنه كما هو للعالم، لعودة العالم إلى الله.

سنطرح أمامك كلّ "لماذا" تدور في عقولنا

سنذيبها في لهب الإيمان

سنغرقها في مياه الحب

سنطرحها في أعماق النسيان

سنجعلها تجثو أمامك لتصير "نعم" و"حقًا" و"ليكن"

سنجعلها تقول:

آمِينَ. تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ

رؤ ٢٢: ٢٠

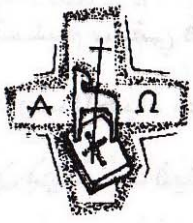

هل ندرك سرّ معموديّتنا؟؟؟

في معموديّتنا نعلن أنّنا مائتون عن العالم وأحياء بالمسيح. فالشهادة إحياء لوعينا الخامل بتعهُّدنا في جرن المعموديّة. لقد تركنا إنساننا العتيق غريقًا في جرن المياه وخرجنا بالجسد الجديد الفاخر الذي يتجمَّل بالروح ليشابه صورة الابن. مَنْ تعمّد فهو ميّتٌ عن العالم، والمائت لا يخشَى موتًا.

لقد كان المسيحيّون في بيرو *Peru* عرضة للهجمات في ظلّ الحرب الأهليّة بين الحكومة والعصابات المتمرّدة. وكما يقول أحدهم: "لكي تكون مسيحيًّا هنا يجب أن تدرك أنّك ميّتٌ بالفعل في المسيح. ما أن تدرك هذا، حتّى يكون كلّ يومٍ يمرّ عليك مكسبًا. إن بقيت حيًّا هنا لمدة سنة، يكون الله أهداك سنة كاملة لتشهد، ليس فقط بالكلام، بل بالأعمال أيضًا".

لقد قبلنا المسيح في مياه المعموديّة وخرجنا فيه إلى الحياة الجديدة، لذا يكتب القديس بولس بغيرة على التقوى، فيقول: « فَكَمَا قَبِلْتُمُ الْمَسِيحَ يَسُوعَ الرَّبَّ اسْلُكُوا فِيهِ » (كو١: ٦). سلوكنا الجديد يشهد لكيفيّة قبولنا للمُخلِّص. إن قابلناه في المياه ونحن مائتون وأخذ بيدنا ليقيمنا ويجدّدنا

بنصرة القيامة، كان سلوكنا لا يخشى موتًا ويترجّى اكتمال الحياة الأبديّة في قلوبنا.

لذا فإنّ ميلادنا الجديد هو ميلادٌ من رَحِمِ الرجاء السماوي. نحن مولودون ثانيةً لرجاءٍ حيٍّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات. في المسيحيّة، الرجاءُ حيٌّ وهو يحيي فينا قوة القيامة. إنْ متنا معه، سنقوم فيه، هذه هي دعوتنا العليا التي لا يستطيع عالم اللّحم والدم أن يستوعبها. ميراثنا في آفاق الأبد .. ميراث ملؤه البهجة .. لا يفنَى ولا يتدنّس ولا يضمحل. **ميراثنا المُخلّص**. هو يقف مترقبًا نتائج امتحان الإيمان ومحنته في تجارب العالم، ليُكلّلنا بالمجد.

لقد صرخت الشهيدة أجاثونيكا (من برجاموم بآسيا الصغرى. ١٦٥م)، أثناء استشهاد كاربوس، حينما عاينت مجد الربّ وأدركت نداء السماء، قائلة: "**تلك الوليمة أُعدّت من أجلي. عليَّ أن اشترك بها. يجب أن أقبل وليمة المجد**". وانطلقت لتُسمَّر على خشبة وتُحْرَق بالنار وهي تتهلّل. بل لقد تركت طفلها موقنة أن الله سيعتني به، وذهبت لتشرب كأس الخلاص في ملكوت الله.

قد يرى الأعداء أنّهم يؤذوننا ولكنّهم لا يعلمون أنّهم يزكّون فينا غيرة الإيمان لكيما يخرج من بوتقة النار، مُطهَّر .. مشرق .. لامع .. يصلح لملكوت الطهر السماوي.

إن ألقوا بحجارة ليرجموننا ستصير نصبًا يشهد لقوّة الإيمان وثباته، يُثبِّت الأجيال القادمة في محبّة المسيح.

إن أعرضوا بوجوههم عنّا وتجاهلونا وهمّشونا في الحياة، سنرى وجه يسوع مشرقًا يؤكّد لنا ميراث الغلبة ومجد الملكوت في معيّته.

إن سلبوا ما لنا وصادروا ممتلكاتنا، سيرتفع رصيدنا السمائي وستعلو مكانتنا بالقرب من العرش.

إن أشهروا السيوف وسلّطوها على رقابنا سنقدِّم رقابنا ذبيحة حبٍّ من أجل العالم لنربح على كلّ حال قومًا؛ في حياتنا وفي موتنا.

إن دمّروا كنائسنا سيُصيِّر الروح، قلوبنا، هياكل، تصدح فيها تسابيح الغلبة والخلاص.

حينما هدّد أحد الجنود مسيحيي بيرو أنّهم سيهدمون الكنائس ولن يبقوا فيها حجرًا على حجرٍ، ابتسموا، وقال أحدهم: "المسيح في قلبي لا يمكن لكم أن تنتزعوه".

⊕ لا شيء يؤذي المسيحي .. لا شيء .. **فحياته المسيح وألمه المجد وموته الملكوت** .. مَنْ يقدر أن يؤذينا؟؟!! صرخة أطلقها القديس يوحنّا الذهبي الفمّ، ولا زال صداها يزلزل عروش الظلمة التي تبعث برسائل الإرهاب لجمع الحمل.

كتب القديس غريغوريوس اللاّهوتي، في خطابه الأوّل ضدّ يوليانوس: "لأنّنا **كلّما تضايقنا، صرنا أشدّ تمسُّكًا بحبّ الغلبة**، وسنقف صفًّا مرصوصًا ضدّ الطغيان مأخوذين بحرارة الإيمان .. **مثلنا مثل الشعلة، كلّما هبّت عليها الريح، كلّما ازدادت اشتعالاً** ... [إنّ] **الاضطهادات السالفة جعلت المسيحيّة، بسرعةٍ شديدةٍ، قوّة يُحسب حسابها، بدلاً من أن تضعفها، إذ قويت النفوس بالإيمان، وصارت أكثر صلابة من الحديد المُحمّى بالنار والمسقي بالماء**".

⊕ وكذلك بنفس الروح قال أحدهم: "**نحن المسيحيّون مثل المسامير، كلّما قرعتنا بشدّة ازددنا عمقًا في الربّ. نحن المسيحيّون مثل الأزهار كلّما سحقتنا بشدّة اشتدّت وفاحت رائحتنا. نحن المسيحيّون مثل كرات المطّاط كلّما قسوت في قذفنا إلى أسفل كان ارتدادنا إلى أعلى أكثر علوًّا**".

إنّ كنيسةً تحيا بقوّة الثالوث لا تعاني قط خوف الموت بل تتجاسر على الموت لتقول له بصوت المسيح:

أين شوكتك يا موت؟؟ هيا اغرسها في الجسد ولكنّها لن تصل لعمق الروح.

أين شوكتك يا موت؟؟ التي تُعلّق عليها راية الإرهاب السوداء المزيّنة بجماجم أسرى الدهور، فرايتك تمزّقت وارتفعت مكانها راية الخلاص على ركام الزمن.

أين شوكتك يا موت؟؟ تلك التي تقتل بها الرّجاء في قلوب البشر، فضوء القيامة أشرق ومعه رجاءٌ حيٌّ لا يموت في قلوب شعب الله.

أين شوكتك يا موت؟؟ تلك التي أخذتها من جسد اللّعنة الأولى، فبرّ المسيح أمات اللّعنة على الصليب، مُطْلِقًا أنهار نعمته على أحبّائه في قفار العالم.

أين شوكتك يا موت؟؟ التي تجرح بها إنسان العالم الملوّث بالخطيئة والشهوة، فيدُ المسيح الممدودة على الصليب تحتضن خطاة العالم وترسلهم أصحّاء بطُهر الغفران.

فيا لمجد الكنيسة التي يمتحن إيمانها فتوجد صامدة على صخرةٍ هي المسيح ..

يا لفرحها حينما يُبوَّق في الأرضِ وتجتمع أرواح القدّيسين، وهي مشرقةٌ بإشراقة المُخلّص فيها ..

يا لفخرها حينما تترائى أمام الجمع السمائي مُكلّلة بالدماء، والجمع يسأل: «مَنْ هَذِهِ الطَّالِعَةُ مِنَ الْبَرِّيَّةِ كَأَعْمِدَةٍ مِنْ دُخَانٍ مُعَطَّرَةً بِالْمُرِّ وَاللُّبَانِ وَبِكُلِّ أَذِرَّةِ التَّاجِرِ؟» (نش٣: ٦).

إنّ كنيسة الله الحيّة تُقدِّم أعضاءها طواعية على مذبح الخضوع لملك الملوك، ليشفعوا فيها، ويتضرّعون من أجلها، ويهبّون لحشد ملائكة الله لنجدتها. وعوض أعضاءها المبتورة يُنْبِت لها الروح أعضاء جُدد .. فتبقَى خضراء .. غضّة .. حتّى موعد لقاء المُخلّص ..

إنّ الكنيسة بسبب محبّتها لله

ترسل نحو الآب في كلّ مكانٍ وزمانٍ

جماهير من الشهداء ...

الكنيسة وحدها تحتمل بنقاوة عار المطرودين من أجل البرّ،

والمعذّبين بكلّ نوعٍ حتّى الموت،

من أجل محبّتهم لله واعترافهم بابنه.

وإن كانت في كلّ حينٍ تُعرَّض للبتر والتشويه،

إلاّ أنّها سرعان ما تنمّي أعضاءها من جديد

وتستعيد كمالها.

القديس إيريناؤس

لقد كانت بصيرة الرسل منفتحة على الملكوت حينما رجعوا مجلودين مثخنين بالجراح، إذ رأوا أنّ الألم من أجل

الربّ هبة لا يستحقونها. انطلقوا فرحين. فرحٌ يُحلّق فوق أنين الجسد وجراحه. فرحٌ لا يستطيع خوفٌ أن يُرسِّم له حدودًا أو يضع له سدودًا. **أفراح المسيحي ترفعه فوق الضيق الحاضر إلى حضن الآب.**

في كتابه *Arrested in the Kingdom*، يشرح أوزوالدو ماجدانجال (مسيحي فلبّيني) ما حدث له بعد أن قُبض عليه وتعرَّض لضربٍ مبرح. عاد إلى زنزانته وصلّى لمدّة خمس ساعات متّصلة وهو يُسبِّح على شركة الألم التي وهبها له المسيح، بعدها: "**أضاء نور بغتةً. امتلأت الزنزانة بسحابة مجد الله. كان حضورًا محسوسًا. ركع على ركبتيه ولمس جبيني، وقال لي: 'يا بني، لقد رأيت كلّ شيء، لذلك أنا هنا. اطمئن لأنّي لا أتركك أو أهملك إلى أبد الأبدين'.**"

قد تنثال المحن على الكنيسة وقد تضرب الرياح قاربها وتهتاج الأمواج عليها ويغطيها ضبابٌ ليحجب عنها رجاء الميناء، ولكن، كما قال المُخلِّص: « أَنَا هُوَ، لاَ تَخَافُوا » (يو٦: ٢٠). المياه والأمواج والعواصف لن تعوقه عن عوننا. سيأتي ليطأ تلك المياه التي ترهبنا .. ويُبْكِم عَصْفَ الرياح بنظرة إرادته الإلهيّة .. سيصير سكون. السكون قد يكون

في قلوبنا وسط العواصف أو في العواصف التي تحيط بقلوبنا.. هو هو سكون الخلاص وقوّته، فقد قيل:

أحيانًا يُهدّئ الله العاصفة

وأحيانًا يدعها تثور ويُهدِّئ ابنه

قالها لنا المسيح بصوتٍ أبديٍّ ليبثّ في قلوبنا حسَّ الشجاعة المسيحيّة: « لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَبَعْدَ ذَلِكَ لَيْسَ لَهُمْ مَا يَفْعَلُونَ أَكْثَرَ » (لو١٢: ٤) نحن لسنا أجسادًا مُجرّدة. **إنْ جُرح الجسد من أجل المسيح، التئمت أرواحنا في روح إلهنا حتى الالتصاق بالربّ. إنّ تجسّدت الكراهيّة أمامنا، تولّد الحبّ في قلوبنا.** لكلّ فعل شيطاني، ردّ فعل إلهي فائق، إن أثبتنا أنّنا بالحقّ نحبّه. إنْ شهدنا له يعني أنّنا شاهدناه يتعشّى في قلوبنا. ومَنْ يشاهد المُخلِّص يُسبى حبًّا ولو إلى الجلجثة.

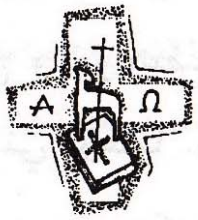

أقنعة الألم

دعنا نفكر معًا، الجسد عُرضة للمرض والألم والوهن والحوادث، وكلّها آلام إنسان العالم. ولكنّ نعمة المجد تأتينا في وادي البكاء والدموع .. وادي الألم، لترفعنا من وهاده السحيقة المظلمة. إنسان الله ترفعه النعمة من ألم الاضطهاد إنْ رفع عينيه إلى السماء من حيث يأتي العون الإلهي، أمّا إنسان العالم يعاني ألم الحياة دونما عزاء.

قال أحدهم:

المشقّات تأتي للجميع،

ولكن الاختيار دائمًا لنا.

الألم والمعاناة لا مفرّ منهما،

ولكن البؤس أمرٌ اختياري

يخشَى البعض من الضيقة، لئلا يطالهم جرح الأعداء، وينسون أنّ المرض يجرح الجسد كما السيف. طلقات الأعداء تُهشِّم الجسد في لحظات، وكذلك المرض. أيّهما أكثر تألمًا؛ مريض السرطان الذي يعمل المرض في جسده كمشارط حادّة، أم ألم قذيفة تنفجر في جسد مسيحي؟!!

ألم الموت في حادثة على طريق لا يختلف عن ألم الموت في حدث يستهدف المسيحي .. كلاهما يتألّم، دون النظر عن دوافع الحدث أو الحادث. ولكن **ما أبهَى الألم المُطعَّم بجواهر الشهادة للربّ.**

الألم الجسدي له وجهان: أحدهما بقناع المرض والآخر بقناع الضيقة والاضطهاد. كلاهما ألم، بيدْ أنّ الآلام برفقة يسوع أشهى من سلامة العالم الزائفة.

اخْتَرْتُ الْوُقُوفَ عَلَى الْعَتَبَةِ فِي بَيْتِ إِلَهِي
عَلَى السَّكَنِ فِي خِيَامِ الأَشْرَارِ

مز٨٤: ١٠

إنّ الاختبار الفعلي والدقيق لمدى تأصُّلنا في المسيح ومدى سريان حياته في أعماقنا هي ردّة فعلنا تجاه الألم. الألم قد يصبح شبحًا تتراجع أمامه وعود الحياة بالسير مع المخلّص ولو إلى جسثيماني، وقد يُصبح لآخرين دفعة شديدة لعناق الصليب ومن ثمّ عناق المسيح.

علينا ألاّ نحاول تحليل الألم ومحاولة فهم منطقه ومنطق مُطلقيه؛ لن نصل إلى شيء، فهو قانون الحياة؛ يأتي لغير للجميع مختبئًا في المرض أو الموت .. بينما يأتي للمسيحي

ظاهرًا في الاضطهاد. إنْ قبلنا الألم تنقّت قلوبنا وتحرّرت من الشهوة ..

إنّنا لا نخشَى الاضّطهاد.

في الواقع نحن نرحّب به لأنّه ينقّينا

شهادة من كوبا إبّان الاضطهاد

على مَنْ نلقي رجاءنا؟

إجابة الكتاب لذلك التساؤل واضحة: « مَلْعُونٌ الرَّجُلُ الَّذِي يَتَّكِلُ عَلَى الإِنْسَانِ وَيَجْعَلُ الْبَشَرَ ذِرَاعَهُ وَعَنِ الرَّبِّ يَحِيدُ قَلْبُهُ » (إر١٧: ٥). البشر لا يستطيعون أن يعينوا من استهدفه الشيطان. صراعنا مع السلاطين مع الرئاسات مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر .. صراعنا على حيازة الروح، وإن كان للجسد نصيبه في المعركة.

على مَنْ نستند؟ على ملوك العالم وقادته وحكوماته ومنظمّاته؟!! أم على المُخلِّص؟ المرتل في المزمور أنشدها ورتّلها: « أَسْنِدْنِي فَأَخْلُصَ » (مز١١٩: ١١٧)؛ خلاصنا مرهون بسند الربّ وليس آخر .. **لن نعاين الملكوت إن استندنا على آخر غير محبوب النفس.** بل إنّ الجمع السمائي لا يتعرّف إلاّ على مَنْ استند على الربّ حتّى النهاية؛ « مَنْ هَذِهِ الطَّالِعَةُ مِنَ الْبَرِّيَّةِ مُسْتَنِدَةً عَلَى حَبِيبِهَا؟ » (نش٨: ٥)

قالها الربّ لشعبه قديمًا، على لسان إشعياء، حينما أراد الشعب أن يفرّ ويتحصّن بالبشر عوضًا عن الربّ:

وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَنْزِلُونَ إِلَى مِصْرَ لِلْمَعُونَةِ (الاتكال على قوى العالم)

وَيَسْتَنِدُونَ عَلَى الْخَيْلِ (الاتكال على السلاح والعتاد)

وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَى الْمَرْكَبَاتِ لأَنَّهَا كَثِيرَةٌ

وَعَلَى الْفُرْسَانِ لأَنَّهُمْ أَقْوِيَاءُ جِدّاً (الاتّكال على الجيوش)
وَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى قُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ وَلاَ يَطْلُبُونَ الرَّبَّ ...
وَأَمَّا الْمِصْرِيُّونَ فَهُمْ أُنَاسٌ لاَ آلِهَةٌ
وَخَيْلُهُمْ جَسَدٌ لاَ رُوحٌ.
وَالرَّبُّ يَمُدُّ يَدَهُ
فَيَعْثُرُ الْمُعِينُ وَيَسْقُطُ الْمُعَانُ وَيَفْنَيَانِ كِلاَهُمَا مَعاً.
لأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ لِي الرَّبُّ:
كَمَا يَهِرُّ الأَسَدُ وَالشِّبْلُ فَوْقَ فَرِيسَتِهِ هَكَذَا يَنْزِلُ رَبُّ الْجُنُودِ
لِلْمُحَارَبَةِ عَنْ جَبَلِ صِهْيَوْنَ وَعَنْ أَكَمَتِهَا.
كَطُيُورٍ مُرِفَّةٍ هَكَذَا يُحَامِي رَبُّ الْجُنُودِ عَنْ أُورُشَلِيمَ.
يُحَامِي فَيُنْقِذُ.
يَعْفُو فَيُنَجِّي ...
وَيَسْقُطُ أَشُّورُ بِسَيْفٍ غَيْرِ رَجُلٍ (بغير قوى العالم)
وَسَيْفُ غَيْرِ إِنْسَانٍ (بدون أسلحة العالم) يَأْكُلُهُ
فَيَهْرُبُ مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ ...
وَصَخْرُهُ (قوّته المرعبة) يَزُولُ مِنَ الْخَوْفِ،
وَمِنَ الرَّايَةِ (راية خلاص الربّ) يَرْتَعِبُ رُؤَسَاؤُهُ،
يَقُولُ الرَّبُّ الَّذِي لَهُ نَارٌ فِي صِهْيَوْنَ وَلَهُ تَنُّورٌ فِي أُورُشَلِيمَ

إش٣١: ١ ـ ٩

مَنْ يُحارَب من الشيطان؟؟ هل نُحارَب نحن الضعفاء العاجزين؟؟ كلاّ، يقول الربّ، إنّه: « يُبْغِضُنِي أَنَا، لأَنِّي أَشْهَدُ عَلَيْهِ أَنَّ أَعْمَالَهُ شِرِّيرَةٌ » (يو٧: ٧). لا يحتمل الدنس

سيرة الطهارة، ولا يحتمل الكذب صوت الحقّ، ولا يحتمل الظلم نصرة البرئ، ولا تحتمل البُغضة إشراقة الحبّ .. لا تستطيع الظلمة أن تقف صامته لترك النور يغزو العالم .. تحاربه لأنّه يشهد على أعمال الظلمة الشريرة .. والناس أحبّت الظلمة أكثر من النور لأنّ أعمالهم شريرة .. لذا مَنْ يحاربوننا هم تكتُّل ظلمة العالم وشرّه.

إنّ الظلمة تريد تحويل العالم أجمع إلى مقبرة للأحياء، يحيون فيها بالجسد بينما أرواحهم موتَى ووعيهم أسير الشهوة، لا يرى ولا يعرف النور. الحرب دائمة بين جنود النور وعسكر الظلام .. نصرة النور قد تكون غير واضحة للجمع الأرضي لأنّ أفراحها في السماء، ولكن نصرة الظلم ظاهرة لأنّ مجالها الجسد والعالم والزمان الحاضر ..

فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ وَلَكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ

يو١٦: ٣٣

هل نُصدِّق نصرة المسيح وندخل لنعاينها في مخادعنا أم نُصدِّق نصرة الشرير حينما نبصرها في طرقات العالم؟؟؟

الْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ،
وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ

١يو٢: ١٧

هل معنى هذا ألاّ نطالب بحقوقٍ مشروعةٍ أهدرها الظلم؟؟

المطالبة بالحقوق

كلاّ بالطبع، ولكن أن نفهم العدو الحقيقي والمعين الحقيقي يجعلنا مُتّزني الإيمان وسط الضيقة. أنْ نطالب لا يعني أنْ نتخلّى على سلامنا المسيحي .. ولا نفقد حبّنا المسيحي. أنْ نطالب لا يعني أن نقابل الإساءة بالإساءة والجرح بالجرح. أن نطالب لا يعني أن نستلهم معارضة ثوريّة عنفيّة تقيم حقوقها على دماء الآخرين. أن نطالب لا يعني أن نقول كفى للصليب نريد الراحة!!! وقتها قد ننال راحةً ولكنّنا سنفقد معها مجد الصليب!!

الله هو الذي يُحرِّك البشر، يجب أن تكون تلك هي عقيدتنا. نطلب من الله أن يعمل ولو بأيدي البشر.

ولكن قلوبنا يتحرّك فيها غضبٌ وقهرٌ وشعورٌ بالظلم، كيف نواجهه لنبقى مسيحيين؟؟

إنّه عمل النعمة ووقتها ..

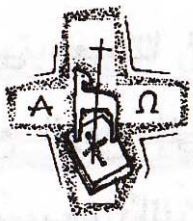

النعمة الحاضرة على الدوام

« أَلْقُوا رَجَاءَكُمْ بِالتَّمَامِ عَلَى النِّعْمَةِ » (١بط١: ١٣)، تلك هي الدعوة المتجدّدة التي يُقدِّمها الروح على لسان القديس بطرس في رسالته الأولَى، لنا ولكلّ مَنْ هم في تضييق من الشرّ. **النعمة تحمل الضعيف، وتقوّي الخائر، وتثبّت المرتعش، وتميت الخوف، وتُحيي الرجاء، وتفتح البصيرة، وتشير للمجد، بل وتُسْكِنَه في قلوبنا، كعربون.**

ليس شيءٌ قط يوازي تألُّق النفس
التي حُسِبَت أهلاً لأن تتألّم من أجل يسوع المسيح،
مهما كانت الشرور التي تأتي وتنصبُّ عليها

القديس يوحنّا الذهبي الفم

النعمة تهمس في آذاننا على الدوام: أنتم غرباء ونزلاء، فلا تستوطنوا الأرض ولا تجعلوها تستوطن قلوبكم، لا تلقوا بجذوركم فيها، فتُقتلع مع رياح الشرّ التي تضرب الأرض ليل نهار، لا تخافوا إنْ ذرَّت رماد قسوتها في أعينكم لأنّ موطنكم هو السماء .. موطنكم هو الأبد.

إنّ النعمة قادرة على معونتنا لا من خلال وقف سيل الاضطهاد ولكن برفع الروح إلى العُلَى، لرؤية موطنها الأبدي. « أَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ، ذَاكَ أَفْضَلُ جِدًّا » (في١: ٢٣)؛

هذا لسان حال الروح التي تلهبها النعمة بشوق الملكوت وسط نيران الضيقة. الألم يفقد قدرته على غربلة قلوبنا إنْ كنّا نئنُّ مشتاقين لكيما يُبْتَلَع الموت من الحياة، ليلبس الفاسد عدم فساد. اشتياق الانحلال من الجسد والسُّكْنَى في الربّ هي مشورة النعمة لنا وكلماتها التي تحفرها في قلوبنا، وقتها نهتف مع القديس بولس بملء القوّة التي ترتعش لها قوى الظلام:

مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟
أَشِدَّةٌ أَمْ ضَيْقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟
كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ إِنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ.
قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ.
وَلَكِنَّنَا فِي هَذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا.
فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ وَلاَ مَلاَئِكَةَ
وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً.
وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى
تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا

رو٨: ٣٥ ـ ٣٩

قد يرفضنا الناس ويضايقوننا ويهينوننا ويضطّهِدوننا بل ويسعون لإبادتنا ولكن الروح يقول لنا: إنْ كنتم حجرًا مرفوضًا من الناس، لكنكم حجرٌ مختارٌ وكريمٌ في عين الله. الله هو مقياسنا لا العالم.

وَلِذَلِكَ يَنْتَظِرُ الرَّبُّ لِيَتَرَأَّفَ عَلَيْكُمْ

وَلِذَلِكَ يَقُومُ لِيَرْحَمَكُمْ لأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُ حَقٍّ

طُوبَى لِجَمِيعِ مُنْتَظِرِيهِ

... لاَ تَبْكِي بُكَاءً

يَتَرَأَّفُ عَلَيْكَ عِنْدَ صَوْتِ صُرَاخِكَ

حِينَمَا يَسْمَعُ يَسْتَجِيبُ لَكَ

وَيُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ خُبْزاً فِي الضِّيقِ وَمَاءً فِي الشِّدَّةِ

لاَ يَخْتَبِئُ مُعَلِّمُوكَ بَعْدُ بَلْ تَرَى عَيْنَاكَ مُعَلِّمِيكَ

وَأُذُنَاكَ تَسْمَعَانِ كَلِمَةً خَلْفَكَ قَائِلَةً:

هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقُ. اسْلُكُوا فِيهَا

إش٣٠: ١٨ - ٢١

ولكن النعمة لا تأتي إلاّ بنداءٍ .. ونداؤنا للنعمة هو صلاة..

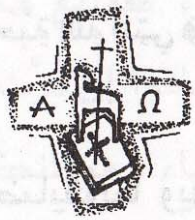

وَلِذَلِكَ يَنْتَظِرُ الرَّبُّ لِيَتَرَأَّفَ عَلَيْكُمْ

وَلِذَلِكَ يَقُومُ لِيَرْحَمَكُمْ لأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُ حَقٍّ

طُوبَى لِجَمِيعِ مُنْتَظِرِيهِ

... لاَ تَبْكِي بُكَاءً

يَتَرَأَّفُ عَلَيْكَ عِنْدَ صَوْتِ صُرَاخِكَ

حِينَمَا يَسْمَعُ يَسْتَجِيبُ لَكَ

وَيُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ خُبْزاً فِي الضِّيقِ وَمَاءً فِي الشِّدَّةِ

لاَ يَخْتَبِئُ مُعَلِّمُوكَ بَعْدُ بَلْ تَرَى عَيْنَاكَ مُعَلِّمِيكَ

وَأُذُنَاكَ تَسْمَعَانِ كَلِمَةً خَلْفَكَ قَائِلَةً:

هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقُ. اسْلُكُوا فِيهَا

إش٣٠: ١٨ - ٢١

ولكن النعمة لا تأتي إلاّ بنداءٍ .. ونداؤنا للنعمة هو صلاة..

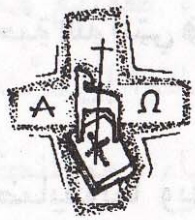

أن نُصلّي

قال المسيح: « هَذَا الْجِنْسُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَخْرُجَ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ » (مر٩: ٢٩). الشيطان الرابض في قلوب الأعداء لن يفارقها إلاّ باتّحادنا في الصلاة وبشركتنا في الصوم. لقد أعطانا المسيح العلاج الأوحد فلِما لا نستخدمه؟!!

العدو يخاف من الصلاة لأنّها تُجرِّده من سلاحه الأوّل؛ أي تصدير الخوف إلى قلوب المسيحيّين. مَنْ يُصلّي لا يخشَى شيئًا. لذا فإنّ مخاوف المسيحي هي ردّة فعل إنسانيّة لا تلبث أن تذوب أمام لهب الصلاة.

الخوف من الضيق والألم والاضطّهاد ينتج عن مواجهة فرديّة مع عدوٍ قتّالٍ للناس منذ البدء، ولكن في الصلاة نستحضر اللّه الضابط المسكونة بكلمة قدرته ومُعطي الوجود والحياة لكلّ مخلوقٍ .. وقتها يتحوّل الخوف إلى ثقةٍ ويقينِ انتصارٍ لأنّ طيف الحضور الإلهي يسحق خيالات الظلمة ..

هناك فارقٌ بين الخوف العَرَضي الإنساني الوقتي، وبين الخوف المتوَّج ملكًا على الحياة المتشبّثة بالأرض ومَنْ عليها. لا يملكن الخوف بصولجانه على قلب مسيحي يُصلّي.

لمّا كنت حرًّا كنت أعمل والصلاة أحيانًا في الخلفيّة.

أمّا في السجن [من أجل المسيح] اكتشفت أنّ الصلاة هي كلّ شيء.

إنّها مثل استعمال الطيّار قائمة المراجعة قبل الإقلاع.

إذا أُغفِلَ البند الأوّل قد تتعرّض حياة الكثيرين للخطر.

البند الأوّل في قائمة مراجعتنا يجب أن يكون دائمًا الصلاة.

إنْ أغفلناها تعرّضت المهمّة كلّها للخطر

أحد المعتقلين من أجل الإيمان في فيتنام

« أَعَلَى أَحَدٍ بَيْنَكُمْ مَشَقَّاتٌ؟ فَلْيُصَلِّ » (يع٥: ١٣). تلك الوصيّة الرسوليّة تضع لنا قاعدة ذهبيّة مختصرة؛ أنّ الصلاة هي دواء المشقّة. ويكمل القديس بولس الصورة بكلمات الروح فيقول: « فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ صَابِرِينَ فِي الضِّيْقِ مُواظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ » (رو١٢: ١٢). إن عكسنا تسلسل الآية نجدها ترسم طريقًا واضحًا للخروج من فوّهة الضيق. **فالمواظبة على الصلاة تستجلب لنا نعمة الصبر إن حلّ الضيق، ومن الصبر ينفجر نور الرجاء ليثبّت قلوبنا في الفرح.**

لقد عزى البعض ثبات المسيحيّين الروس في الهجمات التي طالت الكنيسة طوال فترة الحكم الشيوعي إلى انتظامهم ومواظبتهم على الصلاة قبل أن تحلّ الضيقة ..

إنّنا لن نستطيع أن نصبر على الضيق من جرّاء أنفسنا، ستخور أنفسنا سريعًا أمام ثقل الضيق الحاضر المدفوع بيدٍ الشرير. ستشرخ النفس بجرحٍ يصعب مداواته. جرح النفس سيقودنا إلى الانطواء أو العنف، وكلاهما انتكاسة في حياتنا المسيحيّة المُجاهِرة المُسالِمة.

ولكن إن دخلنا مخدع الصلاة، جعلنا المواجهة بين المسيح والشيطان لا بيننا وبين الشيطان، وقتها نرى المسيح يعمل من وسط خيوط الشيطان العنكبوتيّة ليرسم خلاصًا لأحبّائه.

لن نخور لأنّ المسيح هو الحاضر في قلوبنا لامتصاص قسوة الحاضر ولدفعنا بقوّة الرجاء.

صرخة صلاتنا دائمًا للروح، كما طالب اليونانيّون، فيلبس، قديمًا: نريد أن نرى يسوع يعمل لنجدتنا .. نريد أن نرى يسوع يعلن مُلْكِه على الجميع .. نريد أن نرى يسوع ..

قد يتأخرّ ويأتي في الهزيع الرابع من اللّيل، ولكنّه سيهبنا الصبر، طوال الليل، ليكمّل ضفر إكليل المجد لنا. **تأخُّر الربّ هو إعدادٌ للمجد.** سنتسلّم الصبر من يده. والصبر اقتناء للنفس وعودة بها إلى ثالوث الحبّ.

ومن بين سكينة الصبر المُتجدِّد بمواظبة الصلاة سيشرق شمس البرّ والشفاء على جناحيه. سيشرق، فنرى فيه رجاءنا.

وقتها سنفرح وسنرسل تسابيح الفرح إلى أهل العالم فتصير تسابيحنا كرازة فائقة نابتة من الألم والدماء.

قَبْل الهبة، ضيقٌ. وسط الضيق يتجدّد فينا الصبر، إنْ صلّينا. هكذا كانت الكنيسة الأولى؛ « هَؤُلاَءِ كُلُّهُمْ كَانُوا يُواظِبُونَ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الصَّلاَةِ وَالطِّلْبَةِ مَعَ النِّسَاءِ وَمَرْيَمَ أُمِّ يَسُوعَ وَمَعَ إِخْوَتِهِ » (أع١: ١٤).

مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا،
فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ فِي الْمَجْدِ

كو٣: ٤

كلمة أخيرة؛ أن نُصلّي هذا هو سلاحنا اليقيني للنصرة. نصرتنا الأولى تتحقّق بتجديد مفاهيمنا للنصرة .. حينما ترتكز قلوبنا في الأبديّة ومن هناك نعاين الوجود .. وقتها ستكون لنا أعين يسوع التي لا تخشَى ثورة رياح وعصف أمواج ولكن قوّة الله العامل في داخلنا ..

الصلاة تعالج نفوسنا

التي ترزح تحت وطأة الضيق.

الصلاة ترفعنا

لنرى الأمور بعين الله الخيّرة.

الصلاة تُجدّد أشجار حياتنا

التي قد أصابها العطب

ولفحتها رياح الشمال

ولوّحتها شمس التجارب.

الصلاة تزيل صدأ علاقتنا بالله

وتفتح من جديد قنوات الاتّصال بيننا وبين السماء.

الصلاة تُضمِّد جرح القلب النازف بالخوف.

الصلاة تزيل هموم الغد الرابضة على عقولنا.

الصلاة تُحيي فينا الشعور بسيادة الله على الخليقة.

الصلاة تُذكّرنا أنّه لا شيء يحدث دون علمه الإلهي،

ولا شيء يحدث يمكنه أن يؤذي أولاده إيذاءً أبديًّا.

ندخل الصلاة بصرخات الخوف

ونخرج بترانيم الرجاء

ندخل الصلاة بدموع اللّيل

ونخرج بأفراح النهار

ندخل الصلاة بمشهد العالم الدامي

ونخرج بمشد الربّ يسوع الحاني

ندخل الصلاة مُهدَّدين في حياتنا

ونخرج منها ثابتين في أبديّتنا

ندخل الصلاة بأسماء أحبّائنا

ونخرج بعونٍ لأحبّائنا

ندخل الصلاة بجرح الأعداء

ونخرج ببركةٍ للأعداء

ندخل الصلاة بغضبٍ من قسوة الأرض

ونخرج بسلامٍ من روعة السماء.

ندخل الصلاة بذواتنا

ونخرج بالمُخلِّص ..

بعمانوئيل ..

بالله معنا ..

وَيُقَالُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ:

هُوَذَا هَذَا إِلَهُنَا.

انْتَظَرْنَاهُ فَخَلَّصَنَا.

هَذَا هُوَ الرَّبُّ انْتَظَرْنَاهُ.

نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ بِخَلاَصِهِ

إش٢٥: ٩

فهرس المحتويات

مدخـل ١١

ثمن الخلاص هل نتذكره؟ ١٣

بالحب ننتصر ١٦

هل ندرك سر معموديتنا؟ ٣٣

أقنعة الألم ٤١

على من نلقي رجاءنا؟ ٤٤

النعمة الحاضرة على الدوام ٤٨

أن نصلي ٥١

صدر للمؤلف

عهد الصحراء (طبعة ٢ منقّحة. نوفمبر ٢٠١٠) (٤٤ صفحة، ٢٠ سم ـ مارس ٢٠٠٩)

التلاقي بين الله والإنسان (طبعة ٢ منقّحة. نوفمبر ٢٠١١)
(١٦٤ صفحة، ٢٠ سم ـ مارس ٢٠٠٩)

صديق نصف الليل (طبعة ٢. نوفمبر ٢٠١١) (٩٦ صفحة، ٢٠ سم ـ نوفمبر ٢٠٠٩)

نحو التوبة (طبعة ٢. نوفمبر ٢٠١٠/ نفدت) (٩٦ صفحة، ٢٠ سم ـ نوفمبر ٢٠٠٩)

دواء الخلود (طبعة ١/ نفدت) (٤٤ صفحة، ٢٠ سم ـ نوفمبر ٢٠٠٩)

من مذكرات ملاك (رواية) (طبعة ٢. نوفمبر ٢٠١١) (٨٠ صفحة، ٢٠ سم ـ نوفمبر ٢٠٠٩)

نحو الصلاة (طبعة ١/ نفدت) (٣٦ صفحة، ٢٠ سم ـ مايو ٢٠١٠)

أنا الكرمة الحقيقية (طبعة ١/ نفدت) (١٠٤ صفحة، ٢٠ سم ـ مايو ٢٠١٠)

النعمة بذار الحياة (٦٤ صفحة، ٢٠ سم ـ نوفمبر ٢٠١٠)

من هم آباء الكنيسة (١٠٤ صفحة، ٢٠ سم ـ نوفمبر ٢٠١٠)

قراءة في حياة الرب يسوع (ج١) (١٠٤ صفحة، ٢٠ سم ـ نوفمبر ٢٠١٠)

النظام الرهباني في ترتيل المزامير (تعريب) (٤٤ صفحة، ٢٠ سم ـ نوفمبر ٢٠١٠)

مازال ينزف (٦٠ صفحة، ٢٠ سم ـ نوفمبر ٢٠١١)

ليكن نور (رواية) (١٥٨ صفحة، ٢٠ سم ـ نوفمبر ٢٠١١)

قراءة في حياة الرب يسوع (ج٢) (١٢٠ صفحة، ٢٠ سم ـ نوفمبر ٢٠١١)

الأيقونة فلسفة الروح (١٩٦ صفحة، ٢٠ سم ـ نوفمبر ٢٠١١)

مازال ينزف

إن نحونا بالحب
صرنا مسيحيين
على شاكلة المسيح

BARAMOS MONASTERY

SHIHET WILDERNESS

قرش جنيه
٣٠٠

يطلب من دير السيدة العذراء برموس